

جدل السلطة والمعرفة في العهد البويهي

پژوهشنامه
تاریخ تشیع

السنة الواحده،

العدد الثاني،

صيف ٢٠١٩

حسن جابر^١

المُلخَص

أمسك البويهيون بزمام السلطة الفعلية في بغداد في اوائل الثلث الثاني من القرن الرابع الهجري و حاولوا فرض مذهبهم الشيعي على الآخرين مع اجتناب الصدام مع الخلافة العباسية السنية.

المقال الحالي يستعرض العلاقة بين الخلافة و الأمانة و طبيعتها حيث شهدت العديد من المنغصات و التوتر و ذلك لتعارض الأهداف و المصالح خلال قرن من الزمان. في هذا العرض يسعى الباحث لأستعراض العلاقات السياسية بين البويهيين من جهة و الخلافة العباسية و الفاطمية و الامارة الحمدانية و كذلك القرامطة خلال القرن الرابع الهجري الذي عرف بالعصر الذهبي للحضارة الاسلامية من جهه اخرى، و من ثم التطرق الى جدل السلطة و المعرفة خلال عصر الديالمة و علاقتهم و كيفية تعاملهم مع الحركة العلمية و الادبية التي شهدها العالم الاسلامي خلال ذلك العصر الذهبي. كما شهدت البلاد التناحرات و المناوشات و الحروب بين افراد الاسرة البويهية الحاكمة فيما كانت الفتن و الصراعات الدينية قائمة على اشدها بين مختلف الطوائف و الاطياف المتعددة في المجتمع الاسلامي.

الكلمات المفتاحية: البويهيون، العباسيون، الشيعة، الحمدانيون، الفاطميون

١. استاذ متقاعد، الجامعة اللبنانية. hassanjaber_1@live.com

زخم النتاج العلمي في القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس الهجريين، حفزَّ العديد من الباحثين الغربيين والمؤرخين العرب المعاصرين للنظر في هذه الظاهرة الإستثنائية التي لم يُشهد لها مثيلاً لا قبل القرن الرابع ولا حتى بعد القرن الخامس، على الرغم من كثرة الفتن المذهبية والإضطرابات الإجتماعية وسوء أحوال المعيشة.

ومن المضحى، إزاء هذا الواقع، إلتقاط النبض الرئيسى الذى كان مصدر الطاقة والحيوية فى عقول أجيال متعاقبة من الفلاسفة والمؤرخين وعلماء الفلك والأصول والكلام والفقهاء والطب والسياسة وغيرها من الحقول التى طرقتها تلك العقول.

بيد أن التأمل بالقرنين الثالث والسادس الهجريين أى القرن الذى سبق وصول البويهيين والآخر الذى تلا هزيمتهم وما كان يعرض فيهما من أسباب القمع والإقصاء والمنع، يمكن أن يرشد إلى مكن التمايز فى العهد البويهي، الذى هو موضوع بحثنا حصراً.

لكن قبل المباشرة فى تحليل الظاهرة والغوص فى أبعادها، لا بُدَّ من تحديد إشكالية البحث، و من ثم وضع الفرضيات المحتملة التى قد تسعف فى فك أحجية الإشكالية وبيان عقدة الإستعصاء فيها.

الإشكالية: إزاء الفوضى السياسية والإجتماعية والفتن المذهبية والقومية (الإثنية) التى شهدتها القرن الرابع الهجرى، كيف تمكّن المجتمع من لملمة عناصر القوة فيه التى أفضت متضافرة إلى قيام نهضة علمية غير مسبوقه؟ وهل ساهم نأى البويهيين عن الحركة العلمية وعدم التحسّس من تياراتها المختلفة فى إطلاق العقول من أسارها، وبالتالي إنفجار الطاقات المذخورة فى المجتمع؟ ولماذا لم تُعقُ الفتنُ المنتقلة والإضطرابات والفوضى إندفاعه الحركة العلمية؟

الفرضيات:

- ١- عدم تعصب البويهيين لإتجاه فقهي أو كلامي محدّد هو الذى أبقي الحركة العلمية بعيدة عن سوط السلطة ورقابتها.
- ٢- تشجيع البويهيين للعلم والعلماء وإحتضانهم من خلال العطاءات والمنح التى كانت توزّع دون تمييز.

٣- حرص البويهيين على البقاء فى السلطة وحذرهم من إظهار ميولهم المذهبية، بالإجمال، لتفادى أى حرج أو تهديد من المكونات الأخرى المخالفة. هدف البحث: يحاول البحث تقديم تفسير علمى دقيق لظاهرة إزدهار الحركة العلمية فى فترة زمنية محدّدة لم تكن مناخاتها العامة توحى بإمكانية ولادة مثل تلك النهضة الإستثنائية.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

تمهید:

السنة الواحدة،
العدد الثانى،
صيف ٢٠١٩

البويهيون هم من قبيلة الديلم، من بلاد فارس، اعتنقوا الإسلام فى مستهل القرن الرابع الهجرى على يد الأطروش^١، أى قبل دخولهم بغداد والسيطرة عليها بحوالى الثلاثة عقود فقط.

٣

فى عهد الخليفة العباسى المستكفى بالله دخل أحمد بن بويه مع أخويه على وحسن إلى دار الخلافة فى بغداد سنة ٣٣٤ هـ عنوةً وفرضوا أمراً واقعاً، أضحى مع أسرتهم التى حكمت إلى حدود منتصف القرن الخامس الهجرى نهجاً فى الحكم ما فتئ السلاجقة أن قلّدوه طيلة فترة نفوذهم فى المنطقة الذى انحسر مع دخول الفرنجة إلى انطاكية وبلاد الشام^٢.

ما يجدر ذكره، هنا، أن الخلافة، ولأول مرة، اضطرت إلى التنازل عن كامل صلاحياتها إلى الأمراء البويهيين ما خلا ذكر الخليفة فى خطبة الجمعة، وأضحى قرار الحل والعقد بيد قوى الأمر الواقع بما فى ذلك تعيين الخليفة نفسه، كما سيظهر من الوقائع التى أجمع المؤرخون عليها.

١ السيوطى، جلال الدين، (ت ٩١١ هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة الباز، ط ١، د.ب، ٢٠٠٤، ص ٢٧٦.

٢ ابن القلانسى، حمزة بن أسد، (ت ٥٥٥ هـ)، تاريخ دمشق، ج ١، تحقيق د. سهيل زكار، دار حسان، ط ١، دمشق ١٩٨٣، ص ٢٢١.

ولإضفاء الشرعية على سلطة بني بويه قام الخليفة المستكفي بالعهد إلى أحمد بالإمارة بعد أن لُقّب بمعز الدولة في ما حصل أخواه على لقب عماد الدولة وركن الدولة^١. وكانت الخطوة الأولى التي أقدم عليها معز الدولة بعد حصوله على العهد، هي عزل الخليفة المستكفي. وقد اختلفت الروايات حول الدوافع الحقيقية التي كانت وراء قرار العزل؛ فمسكويه^٢ عزا ذلك إلى هواجس إرتاب منها المعز لم تعرف طبيعتها، في ما ذهب المقدسي إلى رغبة الأمير البويهي في مبايعة أبي الحسن محمد بن يحيى الزيدى العلوي، بيد أن معز الدولة عدل عن ذلك بعد مشورة الصيمري الذي بيّن له المخاطر التي قد تنتجم عن هذه الخطوة، وأحضر، بدل ذلك، أبا القاسم الفضل بن المقتدر بالله إلى دار الخلافة وعيّن خلفاً للمستكفي ولقّب بالمطيع لله^٣.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحدة،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

يصف ابن الأثير الحال التي آلت إليه الخلافة، بعد هذا المنعطف الكبير، بقوله إن أمر الخلافة إزداد إدباراً؛ ولم يبق للخليفة من الأمر شيئاً، بعد أن صير البويهيون مقاليد الأمور كلها بيدهم؛ فبعد أن كانت الوزارة من مهام الخليفة، أضحى معز الدولة هو الذي يستوزر لنفسه من يريد^٤.

هذا التحول في مشهد الخلافة في بغداد، أملاه ضعف الخليفة المطيع لله، فضلاً عن قوة حضور وسطوة الأمير البويهي؛ ويذكر المقدسي، في هذا السياق، أن الخليفة كان منصرفاً عن شؤون البلاد إلى اللهو والفساد والشذوذ^٥.

١ مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد، (ت ٤٢١ هـ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج ٦، تحقيق أبو القاسم إمامي، سروش، ط ٢، تهران: ٢٠٠٠، ص ١١٤.

٢ (م، ن).

٣ المقدسي، محمد بن عبد الملك، (ت ٥٢١ هـ)، تكملة تاريخ الطبري، ج ١، تحقيق ألبرت كنعان، المطبعة الكاثوليكية، ط ١، بيروت ١٩٥٨، ص ١٥٠.

٤ ابن الأثير، أبو الحسن علي، (ت ٦٣٠ هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر تدمري، دارالكتاب العربي، ط ١، بيروت ١٩٩٧، ص ١٦٠.

٥ يذكر المقدسي أن الخليفة كان لا يعاشر غير الرجال؛ المقدسي، تكملة تاريخ... (م، س)، ص ١٤٩.

والضعف في الخلافة، المشار إليه، لم يتأتَّ عفواً، وإنما كان حصيلة تراجع مزمن في هيبة وقدرة الخلفاء العباسيين. والضعف لم يكن أمراً طارئاً، وإنما كان حصيلة مسارٍ طويلٍ من التراجع والضعف وصل إلى دركه الأسفل مع التناحر التركي - التركي قبيل دخول البويهيين بغداد، خصوصاً بين الأميرين بجكم وابن رائق^١. وقد وصف الدورى هذه المرحلة بالفترة السوداء التي سهلت على البويهيين التغلّب على بغداد^٢.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحدة،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

إزاء هذا المآل الذي وصلت إليه الخلافة العباسية، كيف جرى التعامل معها من قبل البويهيين؟ وهل كانت تسيير على وتيرة واحدة؟ أم أنّ الأمور كانت محكومة لمنعرجات قوة الأمراء وضعفهم؟

العلاقة مع الخلفاء العباسيين:

قياساً على مرحلة النفوذ التركي، الذي امتد طيلة العصر العباسي الثاني، يمكن القول إن العلاقة بين الطرفين شهدت نوعاً من الإستقرار؛ فقد كان البويهيون أكثر تكيّفاً مع الواقع^٣، بل أميل إلى تجنّب الصدام مع الخلافة، بدليل قلة عدد الخلفاء العباسيين الذين تعاقبوا على المنصب؛ المطيع لله، الطائع لله، القادر بالله والقائم بأمر الله، كما سيظهر من الوقائع، مقابل ثمانية عشر خليفة خلال مرحلة النفوذ التركي التي هي أقصر زمانياً من المرحلة البويهية^٤.

بيد أن العلاقة بين الطرفين لم تكن على سوية واحدة^٥، فهي على الرغم من استقرارها النسبي، لم تخلُ من المنغصّات. وقد ارتبط صعود العلاقة أو تأزمها بسطوة وقوة وحضور

١. السيوطي، جلال الدين، (ت ٩١١ هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة نزار، ط١، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٢٨٤.

٢. الدورى، عبدالعزيز، تاريخ العراق الإقتصادي في القرن الرابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٣، بيروت ١٩٩٥، ص ٦٣.

٣. بيضون، ابراهيم، البويهيون والخلافة، مجلة المنطلق، العدد ١١٤، بيروت ١٩٩٦، ص ١٤.

٤. (م، س)، ص ١٤.

٥. سلهب، حسن، تاريخ العراق، (دراسة في الحياة الفكرية)، دارالمحجة البيضاء، ط١، بيروت ٢٠٠٨، ص ٥٨.

أحد الفريقين إزاء الآخر؛ فمعز الدولة، الذي يُعدّ المؤسس الحقيقي للإمارة البويهية، تميّز بقوة الشخصية التي حجت دور الخليفة فضلاً عن حال الضعف التي ظهر فيها الأخير في غير مناسبة وتحديدًا في عهد بختيار الذي أثر عنه الضعف^١.

في هذا الإطار يروى ابن مسكويه في تجاربه أنه بعد تقلّد عز الدولة أبي منصور بختيار مقاليد الأمور خلفًا لأبيه معز الدولة سنة ٣٥٦هـ لم يُظهر المطيع أي مبادرات أو أمارات تشي بتوقّر إستعدادات شخصية ذات سمات قيادية على الرغم من خفة بختيار وميله إلى اللهو واللعب. وقد عبّر الخليفة نفسه عن واقع حاله حين طالبه بختيار بغزو الروم بالقول: "إن الدنيا ليست بيده"، وبالتالي لا يلزمه غزو ولا حج ولا شيء مما تنظر الأئمة فيه، وأنّ له من الرعية اسم الخلافة "الذي يخطب به على منابرهم"^٢.

وكرّر الخليفة الموقف نفسه سنة ٣٦٢هـ، يوم حاول مسلمو نصيبين الهجوم على دار المطيع احتجاجًا على عدم صد الروم الذين استباحوا وقتلوا أهل تلك البلاد ونسبوا إلى الخليفة العجز عن أداء مسؤولياته^٣.

ومعادلة القوة والضعف التي حكمت العلاقة بين الخلافة والإمارة لم تكن، بالضرورة، محصورة بين الطرفين؛ فقد يصدف إتصاف كلاهما بالضعف، كما حصل في أواخر عهد المطيع لله، الذي اضطر إلى خلع نفسه بأمرٍ من سبكتكين التركي الذي كان حاجبًا لمعز الدولة، بيد أنه اتصف بقوة الحضور والتأثير ما حدا بالمطيع إلى الرفع من شأنه وإطلاق لقب نصر الدولة عليه.

ويُعدّ عزل المطيع سنة ٣٦٣هـ على يد سبكتكين وتنصيب الطائع مكانه دليلًا إضافيًا على ضعف الخليفة. لكن مدة إمارة سبكتكين لم تدم طويلًا، فقد توفي سنة ٣٦٤هـ^٤.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحده،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

١. ابن مسكويه، تجارب الأمم...، (م، س)، ص ٣٤٩.

٢. ابن مسكويه، تجارب الأمم...، (م، س)، ص ٣٤٩.

٣. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، (ت ٥٩٧هـ) المنتظم في تاريخ الملوك، والأمم، ج ٤، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، المكتبة العلمية، ط ١، بيروت ١٩٩٢، ص ٢١٤.

٤. ابن الجوزي، المنتظم...، (م، س)، ص ٢٣٨.

ولم يختلف حال الخليفة الجديد عن سابقه لجهة الضعف، فقد تحول إلى العوية في إطار صراع الجند في ما بينهم، خصوصاً الديلم والترك. ويشار في هذا الإطار إلى أن الأتراك اصطحبوا الطائع لله معهم لدى وصول عضد الدولة سنة ٣٦٤ هـ إلى بغداد لأول مرة، فأعادته الأخير إلى بغداد قبل إنكفاء الأمير البويهى عن العاصمة نزولاً عند رغبة والده ركن الدولة الذى رفض التآمر على ابن أخيه بختيار^١.

سنة ٣٦٥ هـ قلد الطائع عضد الدولة الإمارة، بصورة نهائية بعد وفاة أبيه، وأمر الخليفة أن تقام الخطبة للأمير البويهى، وهو أمر يحصل لأول مرة ما يعكس قوة عضد الدولة وتراخى سلطة الخليفة^٢.

حاول عضد الدولة أن يجمع بين الملك والخلافة بتزويج ابنته للطائع، غير أن الأخير ما لبث أن توفى سنة ٣٧٢ هـ بعد أن أوصى لابنه صمصام الدولة (أبو كالجبار). وقد أمضى الخليفة الأمر دون اعتراض^٣.

ب وفاة عضد الدولة انطوت صفحة الأمراء البويهيين الأقوياء، وتعاقب بعده عدد من الحكام الضعاف الذين تلاعب بهم الجند من الترك والديلم، ما سمح للخلفاء العباسيين أن يستعيدوا بعضاً من نفوذهم، كما كان شأن القادر بالله؛ ففي سنة ٣٧٦ هـ قبض شرف الدولة أبو الفوارس على صمصام الدولة بدعم من الأتراك فى ما اصطف الديلم مع الأخير، الذى انتهى به المطاف فى بلاد فارس^٤.

على صعيد الخليفة فقد أُجبر الطائع على خلع نفسه بضغط من الجند ونصب مكانه القادر بالله ذو الشخصية القوية سنة ٣٨١ هـ، التى ستترك تأثيرها على الحياتين الفكرية والسياسية وبالتالي على الحريات العامة. وقد امتدت خلافته إلى ما يزيد عن أربعة عقود^٥.

١ ابن الأثير، الكامل...، ج ٧، (م، س)، ص ٣٢٨.

٢ ابن الجوزى، المنتظم...، (م، س)، ص ٢٦٠، راجع ابن الأثير، (م، س)، ص ٣٤٣.

٣ ابن سكوية، تجارب الأمم...، (م، س)، ص ٤٤٤.

٤ ابن الأثير، كامل، (م، س)، ص ٤١٥.

٥ (م، س)، ص ٧٤٥-٧٤٧.

في المقابل، تعاقب عدد من الأمراء البويهيين بعد شرف الدولة؛ بهاء الدولة، سلطان الدولة وفخرالدولة^١، وكانوا في مجملهم ضعفاء قياساً على القادر بالله، الذي نجح في إستعادة بعضاً من هيبة الخلافة التي فرط بها أسلافه.

بيد أن قوة الخليفة لم يتم استثمارها في السياسة بقدر حرفها بل تبديدها في التشدد مع التيارات الكلامية والفلسفية في ما عرف بالعهد القادري؛ يروي ابن الجوزي، في هذا الإطار، أن الخليفة جمع سنة ٤٢٠ هـ القضاة والفقهاء ودعاهم إلى الإلتزام بمندرجات عهده الذي تضمن إجراءات متشددة ومواعظ مختلفة، وكلف أمراء الأمصار تنفيذه، ويذكر أن الأمير يمين الدولة أبا القاسم محمود قام بإحراق كتب المعتزلة والفلاسفة والروافض في بلاد الرى^٢.

وكإشارة أخرى تؤكد قوة القادر بالله وتراخي قبضة البويهيين، بادر الخليفة سنة ٤٢١ هـ إلى تعيين ابنه أبي جعفر ولاية العهد دون العودة إلى السلطان البويهي، خلافاً للعهود السابقة^٣.

بويهيو بغداد والعلاقة مع المحيط:

المرحلة التي حكم فيها البويهيون بغداد لم تكن تشبه ما قبلها لجهة تعدد القوى التي تزعم كل واحدة منها أنها صاحبة الشرعية. وكان يتحتم على البويهيين التعامل مع هذا الواقع بما يحفظ وجودهم واستمرارية نفوذهم في بغداد، مع ملاحظة كونهم يفتقرون إلى المشروعيّتين الجهادية والتاريخية، لذلك لم يكن بوسعهم المغامرة لا بالإلتحاق بإحدى الشرعيات ولا بالإستقلال عنها، وإنما كانت المصلحة تقتضى الموازنة وعدم الصدام مع أحد قدر المستطاع.

١. ابن الجوزي، المنتظم... (م، س)، ص ٩٨

٢. (م، س)، ص ١٩٨.

٣. ابن مسكوية، تجارب الأمم... (م، س)، ص ٣٨٨.

بخصوص العلاقة مع الحمدانيين الذين امتد نفوذهم من حلب ومحيطها إلى الموصل وغرب بغداد فضلاً عن تغور الروم البيزنطيين كافة، لم يكن بوسع معز الدولة، وهو رجل يجيد الحسابات الدقيقة، أن يغامر في هزيمة الحمدانيين وإلحاقهم ببغداد؛ فالأمير البويهى لم يكن بمقدوره الإضطلاع بالدور الجهادى نفسه الذى تصدّى لأدائه الحمدانيون على امتداد الثغور، والذى كلفهم الكثير من الدماء والخراب والأسر. وتكفى الإشارة إلى أن أبا فراس الحمدانى نفسه قد وقع فى الأسر فى منبج سنة ٣٥١ هـ على يد الروم^١.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحدة،

العدد الثانى،

صيف ٢٠١٩

وبالرغم من حساسية دور الحمدانيين، لم تكن علاقة البويهيين بهم على سوية واحدة، فقد شابهها، أحياناً، الحذر والريبة نتيجة رغبة الحمدانيين فى التوسّع على حساب العباسيين. بالمقابل، لم يفضّ التقارب المذهبى بين الطرفين إلى العمل على الإندماج أو إخضاع أمراء حلب، ما خلا إشارة ابن الأثير إلى رغبة معز الدولة البويهى فى "ملك جميع بلاد ناصر الدولة"^٢، وقد يكون إظهار الميل إلى الإمساك ببلاد الحمدانيين وليد ردّة فعل ظرفية على استيلاء ناصر الدولة على المناطق التى تقع غرب بغداد، الأمر الذى إضطر معز الدولة إلى مهاجمة الموصل ما حدا بالأمير الحمدانى إلى مصالحة الأمير البويهى مقابل مبلغ من المال يؤديه كل سنة^٣.

أمّا العلاقة مع الفاطميين الذين دخلوا مصر سنة ٣٥٨ هـ، فقد كانت أكثر تعقيداً؛ فإذا كان الحمدانيون يستندون فى مشروعاتهم إلى قتال الروم والدفاع عن الثغور فإنّ الفاطميين يرجعون شرعيتهم إلى فاطمة الزهراء وأبنائها أى إلى آل بيت الرسول. صحيح أنّ مؤسس الدولة البويهية فى بغداد سبق له أن توفى قبل دخول الفاطميين إلى مصر، إلاّ أن النهج الذى اختطه فى التعايش مع العباسيين والحمدانيين أضحي مساراً واضحاً ليس بوسع ابنه^٥ بختيار الضعيف تغييره أو تعديله.

١. ابن الأثير، الكامل... ج ٨، (م، س)، ص ٢٤١.

٢ (م، س)، ص ١٤٢.

٣ (م، س)، ص ١٨٢.

٤ ابن مسكويه، تجارب الأمم... (م، س)، ص ٢٩٥.

٥ (م، س)، ص ٢٧٠.

في السنوات الأولى من استقرار الفاطميين لم تظهر محاولات جادة لمدّ نفوذهم إلى بغداد أو الإتصال بالبويهيين، لا في عهد المعز لدين الله العلوي الذي توفي سنة ٣٦٥ هـ ولا خلال فترة حكم ابنه العزيز بالله^١.

مع تراخي قوة البويهيين، في مرحلة الأمراء الضعفاء، وبروز شخصية الخليفة القادر بالله، جرت محاولات عباسية للتشكيك في نسب الفاطميين للحدّ من نفوذهم؛ ويورد ابن الجوزي أنه كتّب في ديوان الخلافة محاضر عن هوية حكّام مصر والقدح بنسبهم، وذلك في سنة ٤٠٢ هـ وقد شارك في كتابة المحضر عددٌ كبير من العلويين البارزين كالسيد مرتضى وأخيه الشريف الرضى وابن الازرق الموسوي^٢.

جاءت كتابة المحضر المشار إليه، بعد محاولات دؤوية لمدّ النفوذ الفاطمي في بلاد ما بين النهرين؛ ويروى أنه خطب للفاطميين في الكوفة والموصل وغيرها سنة ٤٠٠ هـ أي في عهد أقوى الخلفاء العباسيين القادر بالله، فطلب الأخير من الامير البويهي بهاء الدولة بواسطة وضع حدّ للتمدّد الفاطمي، فقطعت الخطبة وأعيدت للخليفة العباسي^٣.

ولم تشر المصادر التاريخية إلى حصول تواطؤ بين الفاطميين والبويهيين أفضى إلى التمدد المذكور، وإن كان الظرف السياسي، يومذاك، لا يسمح بالنفي القطعي لوجود شكل من أشكال التعاطف، خصوصاً في ظل خلافة متشددة مع كل من يخالفها الرأي. في سنة ٤٢٥ هـ ظهر البساسيري الداعي لبيعة الفاطميين لأول مرة في بغداد، دون أن يتمكن من فعل شيء^٤، ثم أعاد الكرة سنة ٤٤١ هـ أي في أواخر العهد البويهي، عندما حاول الاستيلاء على الأنبار^٥. وكانت آخر محاولة للبساسيري لمشاغبة الخليفة سنة ٤٤٦ هـ مستفيداً من التردّي العام في البلاد عشية وصول طغرلبيك السلجوقي إلى بغداد والخطبة له سنة ٤٤٧ هـ^٦.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحدة،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

١. ابن الأثير، الكامل...، (م،س)، ص ٣٣٨.

٢. ابن الجوزي، المنتظم...، (م،س)، ص ٨٣.

٣. ابن الأثير، الكامل...، ج ٧، (م،س)، ص ٥٧١-٥٧٢.

٤. (م،س)، ص ٧٦٤.

٥. (م،س)، ج ٦، ص ٨٠.

٦. (م،س)، ص ١٢٥.

بخصوص علاقة البويهيين بالقرامطة فقد شابها الكثير من الغموض، ما خلا مرحلة عضد الدولة، التي شهدت إنفراجاً ملحوظاً مهّد له دخول ابن شاهوية (صاحب القرامطة) إلى الكوفة ومعه مئات الرجال وأبطل الخطبة لعزّ الدولة بختيار وأقام الدعوة لعضد الدولة وذلك ٣٦٦ هـ^١.

عدّد تدخل القرامطة في هذا الوقت بالذات، على أنه معونة مباشرة لعضد الدولة ضد ابن عمه بختيار، ويعضد هذا الرأي ما رواه تغرى بردى من أن أبا يعقوب الجنابي القرمطي وهو صاحب هجر، قد توزّر لعضد الدولة في الكوفة، وأنه حين توفي سنة ٣٦٧ هـ أغلقت أسواق المدينة المذكورة حداداً^٢.

بيد أن العلاقة مع القرامطة ما لبثت أن عادت إلى حال التوتر بعد وفاة عضد الدولة سنة ٣٧٢ هـ ففي سنة ٣٧٣ هـ دخل القرامطة البصرة أيام صمصام الدولة، الذي فضّل مصالحتهم على مال لكي ينصرفوا عنها.

وفي سنة ٣٧٥ هـ رغب الهجريون (القرامطة) في دخول بغداد بجموع كثيرة، غير أن صمصام الدولة وجّه إليهم عسكريه وطردهم منها. بعد هذه الحادثة غابت أخبارهم على حدّ تعبير ابن الأثير^٣، وبطل ناموسهم وفق ما ذهب إليه ابن الجوزي^٤.

الملاحظ من سرد الوقائع أن الأمراء البويهيين بعلاقتهم بالقرامطة لم يلتزموا معياراً واحداً؛ فعضد الدولة، المعروف بحنكته ودرايته في مواجهة التحديات، سعى إلى استيعابهم (القرامطة) للتخفيف ما أمكن من ضررهم من جهة واستخدامهم وقت الحاجة ضد خصومه من جهة أخرى، خلافاً للأمراء البويهيين الضعاف كصمصام الدولة وغيره الذين لم يجيدوا سياسة الاستيعاب فوقعوا في محذور المواجهة.

١. تغرى بردى، أبو المحاسن، (ت ٨٧٤)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٤، دار الكتب المصرية، ط ١، القاهرة، دت، ص ١٢٥-١٢٩.

٢. (م، ن).

٣. ابن الأثير، الكامل ...، (م، س)، ص ٤٠٩.

٤. ابن الجوزي، المنتظم ...، ج ١٤، (م، س)، ص ٣١٠.

الفتن والإضطرابات:

الاستقرار النسبي في علاقة البويهيين بالعباسيين لم ينسحب على الأسرة البويهية نفسها، التي شهدت ألوأناً من الصراع بين الأخوة وأبناء العمومة وغيرها. وتداعيات المزاحمة على السلطة لم تنحصر في الحلقة الضيقة المحيطة بالأسرة، وإنما توسعت مفاعيلها لتطال الجند المنقسمين إلى ديلم (قبيلة البويهيين) والترک الذين استعان بهم البويهيون لإحداث شكل من التوازن الداخلي يحول، بزعمهم، دون انفراد الديلم بعناصر القوة وبالتالي التأثير في مجريات الأمور.

ومن الأبواب التي فتحتها البويهيون للفتن وعجزوا عن وصدھا في ما بعد، هو مبادرة أول أمير بويهي معز الدولة إلى إحياء مناسبتين دينيتين في بغداد هما: عاشوراء والغدير سنة ٣٥٢هـ. ولا يخفى ما لهاتين المناسبتين من صدى وحساسية في المخيال التاريخي والمذهبي للمكونات الشعبية في بغداد وسواھا.

ويظهر من تكرار الإحياء سنة بعد سنة أن الأمير البويهي معز الدولة كان عازماً على تحويل التفاعل الشعبي مع المناسبتين السابقتين إلى تقليد شعبي تتوارثه الأجيال، وهو ما حصل بالفعل، مع ما كان يحدثه ذلك من ردات فعل من مكونات أخرى كانت كافية لإشعال وتأجيج العصبية وبالتالي الإقتتال والفوضى.

لقد أضحت الفتن المذهبية سمة عامة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، بل تحوّل الاحتقان المتبادل إلى هشيم لا يلزمه سوى الشرر. وهذا ما كان الصراع بين الجنود الديلم والأتراک يتعهده بين الفينة والأخرى.

والفتن المتكررة كانت كفيلة وحدها بتوليد ظواهر اجتماعية أخرى، لا تقل خطراً من الاحتراب المذهبي وهي انتشار ظاهرة العيارين والشطّار في بغداد وسواھا، والتي كانت تحيل الأمن الاجتماعي الهش إلى فوضى^٣.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحدة،

العدد الثاني،

صيف ٢٠١٩

١ ابن الأثير، الكامل ...، ج٧، (م، س)، ص ٢٤٥.

٢ ابن الجوزي، المنتظم ...، ج١٤، (م، س)، ص ١٦٢-١٦٨.

٣ ابن الجوزي، المنتظم ...، ج١٤، (م، س)، ص ٣٤٤.

والعيّارون والشطّار كانوا فى الظاهر عصابات من اللصوص، تمارس النهب فى الحوانيت والأسواق وبيوت الأغنياء؛ لكن جذور حركة هؤلاء تعود إلى الواقع الاجتماعى المأزوم. لقد كان لدى هذه الفئة رغبة عميقة فى أخذ ثأرها من المترفين. ويمكننا فهم هذه الحالة إذا رجعنا الى ارتدادات التغلب البويهى على أشرف أهل البلاد من العباسيين والعلويين الذين انحدرت أوضاعهم إلى منزلة اجتماعية واقتصادية ثانوية^١.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثانى،
صيف ٢٠١٩

فى هذا الإطار، يروى ابن الجوزى أنه فى سنة ٣٨٠ هـ زاد أمر العيّارين فى جانبى بغداد ووقعت بينهم حروب وتفشوا فى بغداد حتى صار لهم أمراء ومتقدمين أمعنوا فى قتل الناس ونهب أموالهم^٢. واستفحلت الظاهرة سنة ٣٨٤ هـ بظهور العيّار المعروف بعزیز، الذى ألتحق به كثير من الدُعّار، وأضحى يتولى جباية الضرائب من أصحاب السفن ومن الأسواق^٣.

١٣

بخصوص الصراعات البينية داخل الأسرة البويهية فقد خضعت لمؤشر قوة الأمير أو ضعفه؛ فثمة تناسب طردى بين الاستقرار السياسى وقوة حضور السلطان البويهى، بدليل انسيابية الأوضاع فى عهدى معز الدولة وعضد الدولة وهما من الشخصيات الأقوى فى العهد البويهى، وتآزم الأوضاع وانفلات الأحوال فى عهود الأمراء الضعاف^٤. ومن الجدير ذكره، أن قوة الأمير، غالبًا ما كانت تحوّل دون تلاعب الجند من الديلم والترک بالأوضاع العامة، خلافًا لما كانت عليه البلاد تحت حكم الأمراء الضعاف.

بالوقائع؛ تشير المعطيات التاريخية إلى أن عهد معز الدولة لم يشهد حوادث تذكر داخل الأسرة البويهية خلافًا لما كان عليه الأمر فى عهد ابنه أبى المنصور بختيار الذى تولى الإمارة بعد وفاة أبيه سنة ٣٥٦ هـ^٥.

١. الدورى، تاريخ العراق الاقتصادى ... (م،س)، ص ٩٣.

٢. ابن الجوزى، المنتظم ... (م،س)، ص ٣٤٤.

٣. (م،س)، ص ٣٦٩.

٤. المقدسى، تكملة تاريخ الطبرى، (م،س)، ص ١٩٦.

٥. (م،ن).

في هذا الإطار، يذكر ابن مسكويه وقائع الفتن العظيمة التي جرت بين الأتراك والديلم في ولاية بختيار والتي، ربما، دفعت عضد الدولة إلى استعجال القدوم إلى بغداد سنة ٣٦٤ هـ والحصول على العهد، التقليدي، من الخليفة الطائع لله^١.

بيد أن والد عضد الدولة (ركن الدولة) لم يشأ أن يسجل ابنه سابقة في تاريخ الأسرة البويهية، فطلب من الأخير ترك بغداد تفادياً للصدام مع ابن عمه. إلا أن سيرورة الأحداث أبانت عن عجز غير معهود في شخصية بختيار، كاد يهدد النفوذ البويهي في بغداد، ما اضطر ركن الدولة إلى القبول بعودة عضد الدولة إلى الإمارة، لوضع حدّ للتدهور المتمادى في أحوال البلاد، وذلك سنة ٣٦٥ هـ تحرك عضد الدولة، على نحو نهائي، إلى بغداد سنة ٣٦٦ هـ^٢.

لم يدع بختيار للواقع الجديد بسهولة، فجرت مناوشات بين الأميرين أفضت إلى تنازل السابق مضطراً لعضد الدولة سنة ٣٦٧ هـ^٣، ومع ذلك بقي بختيار يتطّلع للعودة من جديد، ما دفع عضد الدولة إلى قتله ليصفو الجو تماماً للأخير، الذي يُعدّ من أقوى الأمراء البويهيين على الإطلاق. غير أن ولايته لم تدم طويلاً إذا توفي بعد خمس سنوات من توليه المنصب ليخلفه ابنه صمصام الدولة سنة ٣٧٢ هـ^٤.

المشهدان السياسى والأمنى فى عهد صمصام الدولة كانا على صورة ما حدث أثناء ولاية بختيار لجهة بروز نفوذ الجند، والتناحر بين المكونين الديلمى والتركى. ويمكن فى هذا الإطار، الإشارة إلى الترابط بين تراخى قبضة الأمير وتنامى سطوة الجند. وهذا الأمر يذكرنا بمرحلة بختيار، مع الفارق أن الأخير قد تمّت إزاحته من قبل عضد الدولة فى ما أزيح صمصام الدولة من قبل العنصر التركى الذى أتى بشرف الدولة أبى الفوارس، وأجبر صمصام على مغادرة العراق^٥.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحدة،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

١. ابن مسكويه، تجارب الأمم...، (م،س)، ص ٣٢٨، المقدسى، تكملة...، (م،س)، ص ٢١٨.

٢. ابن مسكويه، تجارب الأمم...، (م،س)، ص ٣٢٨، المقدسى، تكملة...، (م،س)، ص ٤١٢.

٣. (م،س)، ص ٤١٩.

٤. الروذراورى، أبو شجاع محمد بن الحسين، ذيل كتاب تجارب الأمم، م، ص ٩٦.

٥. (م،س)، ص ١٦٣.

لم تكن ولاية شرف الدولة أحسن حالاً من سابقه، فقد تفجّر الصراع من جديد داخل الأسرة البويهية بين بدر بن حسنوية وعسكر شرف الدولة. لم يدم حكم الأخير طويلاً إذ وافته المنية سنة ٣٧٩ هـ ليخلفه بهاء الدولة^١.

فى سنة ٣٨٨ هـ قُتل صمصام الدولة ابن عضد الدولة على يد ابن بختيار، الذى سبق لعضد الدولة أن قتله سنة ٣٦٧ هـ وهذه الحادثة يمكن إدراجها فى خاتمة الأعمال الثأرية داخل الأسرة البويهية^٢.

توفى بهاء الدولة سنة ٤٠٣ هـ فتولى الإمارة سلطان الدولة أبو شجاع^٣، الذى انزلق إلى الصدام مع أخيه أبى الفوارس شرف الدولة سنة ٤٠٧ هـ^٤.

وتوالت الصدامات داخل الأسرة؛ ففي سنة ٤١١ هـ أزال شرف الدولة ابن بهاء الدولة أخاه سلطان الدولة وخوطب بأمرير المؤمنين^٥، وفى السياق عينه وثب الجند على جلال الدولة شقيق شرف الدولة سنة ٤١٨ هـ ما اضطره إلى الهرب والإحتماء فى منزل السيد المرتضى فى الكرخ إلى أن أعاده الخليفة القادر بالله^٦.

سنة ٤٣٥ هـ ظهر من جديد نفوذ الجند بالبصرة فى هوية من يتولى الإمارة البويهية؛ فبعد وفاة جلال الدولة، حال قادة الجند دون إنفاذ وصية الأمير المتوفى فى تنصيب ابنه واختاروا ابن أخيه كاليجار بدلاً منه^٧.

توفى أبو كاليجار سنة ٤٤٠ هـ وخلفه ابنه أبو منصور الملك الرحيم، الذى كان آخر أمراء العهد البويهى^٨.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثانى،
صيف ٢٠١٩

١ ابن الأثير، الكامل...، ج ٧، (م، س)، ص ٢٥٦.

٢ ابن الجوزى، المنتظم...، ج ١٥، (م، س)، ص ١١.

٣ ابن الأثير، الكامل...، (م، س)، ص ٥٩٠.

٤ (م، س)، ص ٦٣٩.

٥ ابن الأثير، الكامل...، ج ٧، ص ٦٦١.

٦ (م، س)، ص ٦٨٨-٧٧٤.

٧ (م، س)، ص ٧٨١.

٨ ابن الجوزى، المنتظم...، ج ١٥، (م، س)، ص ٣١٣.

الفتن المذهبية: طبعت الفتن المذهبية الحقبة البويهية برمته، باستثناء ولاية عضد الدولة، الذي لم يتوان عن مواجهة تلك الفتن ومحاصرتها^١.
والذي يبدو لي، في ضوء المعطى التاريخي، أن الأحداث الكثيرة التي وقعت في العهد البويهي، لم تكن محكومة لعامل واحد، وإنما تضافرت عناصر ساهمت مجتمعة في رسم إطار المشهد الدموي الذي نضحت به المصادر التاريخية المختلفة.

لقد أحدث وصول البويهيين إلى بغداد وإسماهم بمقدّرات الأمور صدمة لدى عامة الناس، الذين لم يألفوا وجود مكوّن مختلف مذهبياً في مركز القرار. فهي المرّة الأولى التي يتسّم القيادة السياسية جماعة، هي بنظر الكثيرين، على خلاف كلامي مستحکم معها، على الرغم من ضعف الخلافة العباسية وترهّلها من جهة، ورغبة الأمير معز الدولة البويهي في تجنّب إحداث صدمة قوية من خلال إبقائه على الخلافة والتظّل بشرعيتها^٢.
ويعكس ابن الجوزي، وهو حنبليّ معادٍ للمذاهب العقلية والفلسفية، حال التبرّم من ممارسات معز الدولة، بإتهامه بأنه كان ساعياً للصراع^٣.

والمعلوم لدى كل من لديه دراية في الصراعات السياسية، أن التوترات المذهبية والطائفية وحتى الإثنية تبقى في حالة كمون ما دامت بعيدة من المنافسة السياسية، وفي اللحظة التي تتصادم فيها المشاريع السياسية، فإن تلك التوترات الراكدة يعاد تنشيطها وتحريكها من قبل الطرف المتضرر، لا بل يُلقى بشررها على المادة الخلافية لإشعالها، فكيف إذا ساهم المنتصر في تأجيحها، كما فعل معز الدولة؟.

هذه الحقيقة تجلّت، بوضوح، لدى وصول معز الدولة إلى بغداد واستثناؤه بمقدّرات الأمور؛ فقد وقعت سنة ٣٣٨ هـ فتنة مذهبية في منطقة الكرخ، التي كانت باكورة التوترات التي ستغدو مسرحاً دائماً للناحر، حتى قبيل المباشرة بإحياء عاشوراء ويوم الغدير، فقد تكرّرت الصدمات في سنوات ٣٤٠ هـ، ٣٤٦ هـ، ٣٤٨ هـ، و٣٤٩ هـ^٤.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحدة،

العدد الثاني،

صيف ٢٠١٩

١ "وسكن الناس من الفتن بها (بغداد)" ابن الأثير، الكامل... (م،س)، ص ٣٧٠.

٢. سعد، فهمي، العامة في بغداد، دار المنتخب العربي، ط ١، بيروت ١٩٩٩، ص ٥٩.

٣ ابن الجوزي، المنتظم...، ج ٤، ص ٤٢.

٤. ابن الجوزي، المنتظم...، ج ٤، ص ٤٢.

والإضاءة على الفتن المذهبية في السنوات التي سبقت قرار معز الدولة بإحياء عاشوراء ويوم الغدير سنة ٣٥٢ هـ لترجيح ما افترضناه من أن هذه الفتن لم تكن ذا خلفيّة مذهبيّة، وإنما ألبست هذا الثوب للتغطية على البعد السياسي. بيد أن ما تقدّم، لا يعني، البتّة، التقليل من شأن مفاعيل قرار معز الدولة بالسماح للناس بإقامة النائحة على الحسين وإغلاق أسواق بغداد، فهو (القرار) ساهم بشكل أو بآخر في مفاجمة التوترات المذهبيّة^١. وإحياء المناسبتين المشار إليهما، ما فتى أن أصبح تقليدًا سنويًا^٢ يتكرّر بالمظاهر نفسها، ويتولّد منه ردّات الفعل عينها، ولم يقتصر على ولاية معز الدولة، وإنما تابعه خلفه عزّ الدولة بختيار وصولًا إلى ولاية عضد الدولة، الذي عزم على تهدئة الفتن "بحزم" وبادر إلى عمارة بغداد سنة ٣٦٩ هـ بعد ما لحق بها من خراب نتيجة توالى الصدمات^٣.

يروى ابن الجوزي، في سياق عرضه لواقع تنامي العصبية واستيلاء الكيد من رحم التنافس؛ أن خصوم الشيعة اختلقوا مناسبات رديفة لم تكن معهودة سابقًا؛ كالإحتفال بيوم غار ثور مقابل يوم الغدير ومقتل مصعب بن الزبير قبال مقتل الحسين. فأضحى قبر الأول في "مسكن" مزارًا، تمامًا، كما يفعل الشيعة في كربلاء^٤.

تواصلت الفتن بين المذاهب طيلة النصف الثاني من القرن الرابع الهجري إمتدادًا إلى حدود نهاية النصف الأول من القرن الخامس الهجري، ما خلا الفترة التي قرّر فيها عميد الجيوش أبو علي إلى منع إحياء عاشوراء ويوم الغدير. غير أن إحياء المناسبتين عاد إلى سابق عهده بعد وفاة عميد الجيوش سنة ٤٠١ هـ^٥. ويروى، في هذا السياق، أن فخر الملك أذن لأهل الكرخ وباب الطاق بإعادة إحياء المناسبتين، كما عهده البغداديون، بالمشهد عينه^٦.

١. (م،س)، ص ١٥٠، راجع سعد، العامة في بغداد، (م،س)، ص ٦٠.

٢. (م،س)، ص ١٨٩.

٣. ابن الأثير، الكامل ...، ج ٧، (م،س)، ص ٣٧٠.

٤. ابن الجوزي، المنتظم ...، ج ١٥، (م،س)، ص ١٤.

٥. (م،س)، ص ٧٨.

٦. (م،س)، ص ٨٢.

لم تقتصر الفتن على المكونين المذهبيين الأساسيين، وإنما طالت مكونات داخل المذهب كما حصل بين فقهاء الشافعية والحنابلة^١.

غير أن الفتن المذكورة لم تبقَ بمنأى عن الانقسام بين الجند؛ الديلم والترك الذين انخرطوا بالصراع المذهبي على خلفية النفوذ بينهم الذي انسحبت مفاعيله على الأمراء البويهيين أنفسهم. ولأهمية هذا الصراع وتداعياته ينبغي استعراض بعض محطاته الأساسية.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحدة،

العدد الثاني،

صيف ٢٠١٩

فتنة الجند: دأب البويهيون، ولحسابات لها صلة بالملك والتحوط للمخاطر، على تنويع الجند وعدم الإقتصار على الديلم الذين ينتمي إليهم الأمراء البويهيون. ويلفت "كاهن" إلى أن الأتراك امتازوا بكونهم مختصين بالخيالة، في ما كانت أغلبية الديلم من المشاة. وقد حرص الأمراء على تنويع الجيش لاعتبارات المصلحة التي كانت تقتضى أحياناً زيادة منسوب أحد المكونين وأحياناً أخرى فعل العكس^٢.

١٨

الروايات التاريخية التي تناولت مراحل صعود قوة الجند تلفت إلى أن نفوذ هؤلاء كان يصعد ويهبط تبعاً لقوة أو ضعف السلطان البويهي؛ ففي عهد الأمير عز الدين بختيار الذي عُرف بالمجون والترف برز دور محمود بن سبكتكين التركي على حساب الديلم، وانقسم الناس إلى فئتين: واحدة تنادى بشعار سبكتكين وأخرى بشعار عز الدولة^٣. والملفت أن الانقسام أخذ بعداً مذهبياً؛ فالذين نادوا بشعار سبكتكين كان جُلهم من السنة، بالمقابل انحاز الشيعة إلى عز الدولة^٤.

وجاء وصول عضد الدولة إلى الملك، وهو المعروف بالسطوة وقوة الحضور، ليضع حداً لهذا الصراع. ويروى مسكوية أن الفتن بين الأتراك والديلم سرعان ما خمدت بمجرد وصول عضد الدولة إلى بغداد^٥.

١. ابن الأثير، الكامل...، ج ٨، (م، س)، ص ٨١ - ١٣٠.

٢. كاهن، الإسلام منذ نشوئه...، (م، س)، ص ٣٦١.

٣. المقدسي، تكملة تاريخ الطبري، (م، س)، ص ٢١٥.

٤. (م، ن).

٥. ابن مسكوية، تجارب الأمم...، (م، س)، ص ٣٨٨.

غير أنّ التطور الأخطر هو الذى حصل سنة ٣٧٦هـ أى بعد أربع سنوات من وفاة عضد الدولة، عندما دخل الجند كلاعب حاسم في الأسرة البويهية لجهة عزل وتعيين الأمير داخلها؛ فقد دعم العنصر التركي داخل الجيش وصول شرف الدولة أبو الفوارس إلى الملك بعد إزاحتهم صمصام الدولة ابن عضد الدولة المدعوم من الجنود الديلم^١.

وتكرر المشهد ثانية سنة ٣٧٩ هـ حين حل بهاء الدولة محل شرف الدولة، نتيجة عجز الأخير عن إنجاز الصلح بين المعسكرين^٢، وكذلك الأمر سنة ٤١٩هـ عندما شغب الأتراك على جلال الدولة في بغداد امتداداً إلى البصرة^٣.

وكإشارة إلى ضعف الأمير جلال الدولة، أعاد الجند الكرة معه سنة ٤٢٤ هـ ونجحوا في إخراجه من بغداد ومن ثم إعادته^٤.

تكرار عملية إخراج جلال الدولة وإعادته، أضحت مثالاً فجاً على سطوة الجند وتلاعبهم بالأمير البويهى؛ ففي سنة ٤٢٨هـ أخرج الأمير جلال الدولة وأعيد مرة أخرى جرّاء الفتنة التي وقعت بين الأمير وحاجب الحجاب بارسطغان^٥.

وهكذا توالى الأحداث المشابهة إلى الأيام الأخيرة من العهد البويهى؛ فعشية دخول طغرلبيك إلى بغداد حصلت فتنة أخرى بادر إليها الأتراك ضد وزير الملك الرحيم لأسباب حياتية تتعلق بتخلّف الوزير عن دفع مستحقات الجنود^٦.

إنطلاقاً من الوقائع السابقة، يمكن رصد المنحى التراجعي لسطوة الأمراء البويهيين الذى آل، في نهاية المطاف، إلى خسارتهم الملك على يد السلاجقة الأتراك، كما سيتبين لاحقاً.

١. ابن الأثير، الكامل ... ج ٧، (م،س)، ص ٤١٥.

٢. ابن الأثير، الكامل ... ج ٧، (م،س)، ص ٤٢٨.

٣. (م،س)، ص ٧٠٢، و ٧٠٤.

٤. (م،س)، ص ٧٥٩.

٥. (م،س)، ص ٧٨٠.

٦. (م،س)، ج ٨، ص ١١٥.

والفتن المذهبية وغيرها، لم تكن مجرد حوادث عابرة، فقد تركت ندوباً في الواقعين الاجتماعى والأمنى عكسها الإنفلات العام على غير صعيد، الذى تمثّل بيروز ظاهرة العيارين والشطّار الذين وصل بهم الأمر فى محطّات مختلفة إلى إشاعة الذعر فى نفوس الناس عموماً وفى الأسواق بصورة خاصة^١؛ ففى سنة ٣٩٣ هـ اشتدت الفتن فى بغداد وظهر العيارون وانتشر الذّعار وعمّ الفساد فى بغداد وسواها، وأضحى الناس لا يأمنون على أرزاقهم وأنفسهم. لم تنحسر هذه الظاهرة، حينذاك، إلا بعد تدخل عميد الجيوش أبو على بن أستاذ هرمز الذى كلفه بهاء الدولة بإعادة الأمور إلى نصابها. وقد بادر الأخير إلى إجراءات صارمة أفضت إلى قمع المفسدين وإزالة التوترات المذهبية من خلال منع السنة والشيعية من إظهار مذاهبهم^٢.

اضطر عميد الجيوش للتدخل مرة أخرى سنة ٣٩٨ هـ عندما انفلت حبل الأمن من جديد و"كثرت العملات ببغداد وكبس الذّعار عدة مواضع"، ونجح فى وضع حد للفضوى فى عاصمة الخلافة وبالتالى إعادة الأمن^٣.

بيد أنّ ظاهرة انتشار العيارين والذّعار كانت مرتبطة بقوة أو ضعف السلطان فى بغداد، ولذلك نجدها تعاود شغبها فى أى لحظة تشعر بإنفلات حبل الأمن. فى هذا الإطار، يروى أنّ عصابات السرقة والسلب عادت إلى الظهور مجدداً سنة ٤١٦ هـ فعظم شرّها وبالغت فى القتل والنهب والإحراق. وتكرّر الأمر سنة ٤١٧ هـ فكبست المحال فى بغداد وأعمل فيها سلباً وإحراقاً^٤.

واستمرّ الحال بين ضمور وانتشار حتى سنة ٤٤٤ هـ أى السنة عينها التى وصل فيها رسل طغرليك إلى الخليفة العباسى، حينها وقعت فتنة فى بغداد وانتشر فى ظلّها العيارون^٥.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحدة،

العدد الثانى،

صيف ٢٠١٩

١ ابن الجوزى، المنتظم...، ج١٥، (م،س)، ص ٢٣٥.

٢ ابن الأثير، الكامل...، ج٧، (م،س)، ص ٥٣٢، راجع أيضاً ابن الجوزى، المنتظم...، ج١٥، (م،س)، ص ٣٣.

٣ ابن الجوزى، المنتظم...، ج١٥، (م،س)، ص ٥٨ - ٥٩.

٤ ابن الأثير، الكامل...، ج٨، (م،س)، ص ١٩٧.

٥ (م،س)، ص ١٠٩.

فى ضوء مجمل الوقائع والمحطات السابقة، يتبين أن ثمة إختلالات فى الواقعين السياسى والاجتماعى هى التى أفضت إلى تخلُّق المشهد العام، وقد عرضنا لمجمل تلك الوقائع بإيجاز شديد. غير أن ما رعت به الأحداث تسعف فى رسم معادلة واضحة مفادها: أن الضعف فى شخصيَّة المتسـم لرأس الإمارة كان، غالباً، يجرُّ الويلات على الخلافة والجنـد والعامَّة؛ فالعجز فى القيادة والإدارة والضبط العام كان يستولد أفعالاً وممارسات منحرفة وغير معهودة، بدليل سكون الفتن فى عهدى معزالدولة وعضدالدولة، واضطرابها فى فترات حكم الأمراء الضعاف.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحده،

العدد الثانى،

صيف ٢٠١٩

إزاء ما تقدّم، تبقى إشكاليَّة البحث، وهى كيف آل الوضع المضطرب فى أرجاء الخلافة العباسيَّة فى ظلّ الإمارة البويهيَّة إلى تنامى الحركة العلميَّة والأدبيَّة؟ دون حلّ، الأمر الذى يفترض معالجته تصويباً لمقصد البحث.

٢١

إذا أجلنا النظر قليلاً إلى العقود التى سبقت وصول البويهيين إلى بغداد، يتبين أن الحياة الفكرية والأدبية لم تكن تسير بلا منغصات، لجهة الحظر والرقابة الشديدين بدءاً من محنة المعتزلة فى عهد الخليفة المتوكل وصولاً إلى عهد المقتدر، حين قتل حسين الحلّاج صلباً وهو حىُّ بزعم أنه قرمطىُّ يقول بحلول اللاهوت فى الناسوت^١.

وثمة إشارات كثيرة إلى حالات التضييق والملاحقة لكثير من العلماء الذين لم تتسق آراؤهم مع هوى التيار الرسمى؛ فعلى سبيل المثال يتحدث المؤرخون عمّا تعرّض له الطبرىّ وابن أبى الفراقـر وابن معتم وابن شنبوذ وغيرهم^٢، وهى حالات تشى بضيق صدر الخلافة وتيارها الكلامى عن كل من يخالفها الرأى.

١. السيوطى، جلال الدين، (ت ٩١١ هـ)، تاريخ الخلفاء، ج ١، تحقيق حمى الدمرداش، مكتبة الباز، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٢٧٥.

٢. راجع متر، آدم، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، ج ٢، تعريب عبد الهادى أبو ريده، مطبعة لجنة التأليف، ط ٣، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٥٤، وأيضاً؛ سلهب، د.حسن، تاريخ العراق فى العهد البويهى، دراسة فى الحياة الفكرية، دارالمحجة البيضاء، ط ١، بيروت ٢٠٠٨، ص ١٩٨.

في المقابل، انتهج البويهيون سياسة مختلفة تقوم على تشجيع الحركة العلمية والأدبية والانفتاح على مختلف الاتجاهات الفقهيّة والكلامية، الأمر الذي ساهم في تبلور حركة إحيائيّة عربية استثنائيّة تكاد تكون النقطة المضيئة الوحيدة في التاريخ العلمي للعرب والمسلمين. أمّا الخلفية التي حكمت الانفتاح البويهي فمردّها إلى عوامل عديدة يأتي في مقدمها البعد الكلامي عند الزيديين، الذين يُجوزون خروج إمامين في قطرين ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة، زيادة على قولهم بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل^١، الأمر الذي بسط أمامهم سبل التعايش مع العباسيين من جهة ومع الفاطميين باعتبارهم أئمة قطر آخر، وبالتالي جعلهم يتقبلون المذاهب الفقهيّة والكلامية المختلفة. إلى جانب وسطية مذهبهم الكلامي، فإنّ بعض الأمراء البويهيين والكثير من وزراءهم كانوا شغوفين بالعلم والعلماء، بل مرّت عهود كان يقطع فيها للفقهاء والأدباء والنحويين مخصصات مالية دورية.

ومن بين الوزراء الذين عُرفوا بمحبة الشعر والأدب أبو محمد المهلبى الذي استوزره معز الدولة ثلاث عشر سنة^٢، وقد عرف عنه توزيعه المال على أهل الأدب والعلم^٣. ويشير المقدسى إلى أن السلطان البويهي نفسه كان يدفع للفقهاء ويكرمهم^٤. ومن الوزراء الذين عنوا بأهل العلم ابن العميد، الذي عرف عنه إحاطته باللغة والبلاغة وحفظ الشعر فضلاً عن تضلّعه بالفقه والتأويل والفلسفة والإلهيات والهندسة. ويذكر ابن مسكويه أن المهتمين بالعلم والأدب كانوا يتوسّلون إليه بضروب العلوم المختلفة. ومن الجدير ذكره أنّ ابن العميد كان قد تولّى الوزارة في عهد ركن الدولة شقيق معز الدولة، وقد سمع من عضدالدولة قوله إنّ أبا الفضل ابن العميد "كان أستاذنا"^٥.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحد،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

١. الشهرستاني، أبو الفتح محمد، (ت ٥٤٨ هـ)، الملل والنحل، تحقيق أحمد فهمى محمد، دارالكتب العلمية، ط ٢، بيروت ١٩٩٢، ص ٥٦.

٢. ابن الجوزى، المنتظم... (م، س)، ص ١٤٢.

٣. ابن مسكويه، تجارب الأمم... (م، س)، ص ١٥٧.

٤. المقدسى، محمد بن عبد الملك، (ت ٥٢١ هـ)، تكملة تاريخ الطبرى، تحقيق ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، ط ١، بيروت ١٩٥٨، ص ١٦٦.

٥. ابن مسكويه، تجارب الأمم... (م، س)، ص ٣٢٢.

وقد بلغ تشجيع الحركة العلمية مستوى غير مسبوق في عهد عضدالدولة الذى احتضن الأئمة والفقهاء وخصّص لهم وللمتكلمين والمفسرين والنحاة والأطباء والمهندسين والحساب رواتب دورية^١.

ويعدّ الصاحب بن عبّاد من أفضل وزراء الدولة الدبلوماسية لجهة الانفتاح والتأييد، فلم يؤثر أنه خصّ مذهباً بعينه أو حابى أحداً لهوى فى نفسه. ويروى أنه أحسن إلى القاضى عبد الجبّار المعتزلى وولّاه قضاء الرى وأعمالها^٢.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحدة،
العدد الثانى،
صيف ٢٠١٩

وعرف عن عضد الدولة انفتاحه على مختلف الاتجاهات الفكرية والفقهية، فكان يصحب أبا الحسن الجوزى وهو على مذهب داوود الظاهرى^٣. وأرسل أبا بكر بن الباقلانى الأشعري إلى ملك الروم برسالة جوايية على أخرى سبق للملك، المشار إليه، أن بعثها إلى عضد الدولة^٤.

وقد بلغت الحضارة فى عهد السلاطين البويهيين إلى عهد صمصام الدولة أوج مجدها فى القرون الوسطى^٥، وكان صمصام الدولة قد استوزر ابن سعدان لسنتين من ٣٧٥ هـ إلى سنة ٣٧٧ هـ وهو الذى سامره أبو حيان التوحيدى، ودوّن حصيلة ذلك فى "الإمتاع والمؤانسة"، وقد وصفه أبو حيان بأنه واسع الإطلاع، وأنه كانت له مشاركة جيدة فى كثير من فروع العلم من أدب وفلسفة وطبيعة وإلهيات وأخلاق^٦.

٢٣

ومن الوزراء المهتمين بالعلم، أيضاً، سابور بن أردشير، وكان قد وزر للسلطان بهاء الدولة ابن عضدالدولة ثلاث مرات، وقد خصه ابن الجوزى بوصف دقيق، فقال عنه أنه "كان كاتباً شديداً".

وسبق لابن أردشير أن إبتاع داراً حمل إليها الكتب من كل فن وسماها دار العلم ووقف عليها الوقوف. وبقيت دارالعلم إلى أن دخل طغرلبك السلجوقى بغداد فأحرقها سنة ٤٥٠ هـ^٧.

١. ابن الأثير، الكامل....، ج ٧، (م، س)، ص ٣٧٠.

٢. ابن الأثير، الكامل....، ج ٧، (م، س)، ص ٤٧٣.

٣. (م، س)، ص ٥٢٣.

٤. الروذراورى، ذيل كتاب تجارب الأمم، ج ٧، (م، س)، ص ٣٩.

٥. كاهن، الإسلام منذ نشوئه.... (م، س)، ص ٣٦٢.

٦. التوحيدى، أبو حيان، (ت ٤٠٠ هـ)، الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، ط ١، بيروت ١٩٢٤، ص ٢٦.

٧. ابن الجوزى، المنتظم....، (م، س)، ص ١٧٢.

ويتحدث ابن الجوزي، أيضاً، عن أبي منصور محمد بن الحسن بن صالحان الذي وزر لشرف الدولة وكان يكرم العلماء والشعراء^١. وفي السياق عينه يلفت ابن الجوزي إلى أن الماوردي (صاحب الأحكام السلطانية) كان مختصاً بخدمة جلال الدولة^٢.

ما تقدّم، يظهر بعض ملامح المشهد العلمي العام في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، غير أنّ الأمور تبدّلت بعد صمصام الدولة ووصول الخليفة القادر بالله العباسي، الذي نجح في استعادة شيء من نفوذه ترجمه تشدداً و تضييقاً. والخليفة القادر، الذي طالّت مدة ولايته، دأب على التصدّي للمعتزلة والباطنية والرافضة ومختلف الاتجاهات العقلية والفلسفية؛ فقد كلف علي بن سعيد الاصطخري، أحد شيوخ المعتزلة، للرد على الباطنية^٣.

وفي سنة ٤٠٨ هـ استتاب القادر المبتدعة، وهم فقهاء المعتزلة والحنيفية، ونهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والرفض^٤.

وفي خراسان كلف أبا القاسم محمود بملاحقة المعتزلة والرافضة والإسماعيلية والقرامطة والجهميّة والمشيّبة وصلبهم وحبسهم. كما أنه أمر بلعنهم على منابر المسلمين، حتى صار ذلك سنة في تلك المرحلة^٥.

هذا المناخ المتشدّد أعاد نبش الجدل حول خلق القرآن، الذي كاد ينسى في ظل الانفتاح السابق، ووصل الأمر بتداعياته إلى مرحلة صدور كتاب بدار الخلافة يكفّر فيه من يقول بخلق القرآن، ليس هذا فحسب بل تطوّر الموقف إلى حدّ استحلال دمه^٦.

١. (م،س)، ص ٢٦٥.

٢. (م،س)، ص ٢٦٥.

٣. ابن الجوزي، المنتظم...، (م،س)، ج ١٥، ص ١٠٠.

٤. (م،س)، ص ١٢٦.

٥. (م،ن).

٦. (م،س)، ص ١٢٨.

والمشهد العام، الذي حاولنا رسم إطاره العام قبل وصول الخليفة القادر بالله، بكل ما حفل به من فتن وصراعات ومجاعات وفوضى، كان من جهة ثانية يَمُور بالأفكار والعلوم والآداب والفلسفة، وكأن قطار النتاج العلمى كان يندفع بهدى التسامح والانفتاح دون أن تعيقه أو تبطّؤه عبثيات الجند وشغب العامة وعرضات العيّارين.

إذا، ثمّة حقيقتان تاريخيتان لا يمكن التشكيك بهما؛ الفوضى والتناحر على السلطة والفتن المذهبية وبالمقابل النتاج العلمى الترى فى مستوييه الأفقى والعامودى كما سنفضله بعد قليل.

ماذا يعنى هذا؟

إنّ الذى ترعف به الوقائع تشى بإمكانية سطوع نور العلم فى حلك الظلام إذا ما توفّر شرط أساسى وهو مناخات الحرّية، ولهذا نلحظ أنّ منسوب النتاج العلمى عاد وانخفض بعد سقوط هذا الشرط لدى وصول الخليفة القادر وبعده محاولات السلاجقة لفرض لونٍ محدّدٍ من التّفكير. من هنا نفهم حصرية بلوغ النزعة الإنسانيّة عصرها الذهبى، برأى محمد أركون، فى القرن الرابع الهجرى دون الخامس، بالرغم من بقاء النفوذ البويهى، شكلاً، إلى نهاية النصف الأوّل من القرن الخامس الهجرى^١.

مناخات الانفتاح:

البويهيون، الذين أمسكوا بناصية السلطة الفعلية فى بغداد فى بدايات العقد الرابع من القرن الرابع الهجرى، كانوا حديثى العهد بالإسلام، كما بيّنا سابقاً، ولم يُؤثر عنهم تعصبهم مذهبياً، ما خلا بعض المواقف النافرة لمعز الدولة^٢.

والمتّبع لمسار التجربة البويهية فى القرن الرابع يمكنه ملاحظة وجهة الاهتمامات لدى السلاطين، والتي تنحصر، بالغالب، بالاعتبارات السياسيّة، بمعنى الرغبة فى الحفاظ على

١ أركون، محمد، النزعة الإنسانية العربية فى القرن الرابع الهجرى، هاشم صالح، جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٣٦١٧، صفحة فضاءات.

٢. سلهب، تاريخ العراق...، (م،س)، ص ٦٢.

السلطة في بغداد، مع الإشارة إلى أن إفادة المذهب الإثني عشري من هذه السياسة^١، لم تكن مقصودة بذاتها، وإنما تُفسّر في إطار الإفادة من المناخ المفتوح الذي أشاعه البويهيون. في الوقائع، تؤشر أسماء وانتماءات الفقهاء والقضاة الذين تولوا مناصب مختلفة في العهد البويهي، إلى مساحات رحبة من التسامح وروح الاستيعاب في الممارسة الإدارية والسياسية للأمراء البويهيين.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحدة،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

مراجعة سريعة للوائح الفقهاء الذين تولوا القضاء، يبرز أبو طاهر الذهلي، الذي كان على مذهب مالک، وقد تولّى القضاء بواسطة ثم بمدينة المنصور^٢، وأبو بكر الرزاي، وكان إمام الفقهاء الأحناف، والقاضي أبو علي حسن التنوخي، وكان حنفياً شديداً للنقد للمذهب الشافعي، وأبو بكر الجرجاني الفقيه الشافعي وأبو بكر محمد بن عبد الله الفقيه المالكي^٣. ومن الأسماء الذين برزوا في هذه المرحلة أيضاً؛ نذكر الفقيه أبا زيد المروزي، وكان حافظاً لمذهب الشافعي، وأبا العباس محمد بن يعقوب النيسابوري وهو محدث شافعي أيضاً^٤، والقاضي عبد الجبار المعتزلي، وأبا إسحاق الإسفرائيني وهو من رؤوس الأشاعرة، وأبا حسين البصري المعتزلي، والماوردي الشافعي، وأبا يعلى الفراء شيخ الحنابلة وابن رشيقي صاحب العمدة^٥.

٢٦

وبرز أيضاً أبو بكر الأبهري الفقيه الذي انتهت إليه الرئاسة في المذهب المالكي، وأبو بكر الهاشمي القاضي، وهو مالكي تقلد قضاء المدائن وسامراء وغيرهما، أبو القاسم

١. كاهن، كلود، الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية، تعريب حسين قبيسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، بيروت ٢٠١٠، ص ٣٦٢.
٢. ابن الجوزي، المنتظم... (م،س)، ص ٢٥٧.
٣. ابن الأثير، الكامل...، ج ٧، (م،س)، ص ٣٨٥ و ٤١٣.
٤. (م،س)، ص ٢١٩.
٥. السيوطي، تاريخ الخلفاء... (م،س)، ص ٢٩٧ و ٣٠١.
٦. ابن الجوزي، المنتظم... (م،س)، ص ٣١٦، ٣٩٠.

عيسى بن داوود الجراح، وهو شيخ أهل الرأي، وكان يعرف علوماً كثيرة عدا الفقه، كالمنطق والفلسفة^١.

قائمة الأسماء بتنوعاتها المذهبية والكلامية تطول، وقد عرضنا لباقة متنوعة من الفقهاء الذين تعاشوا، بالرغم من اختلافاتهم، في مناخ من حرية الاجتهاد في الفقه والكلام دون إكراه أو مضايقات. وهذه سمة تفرّد بها العهد البويهي عن سواه من العهود السابقة واللاحقة.

بيد أن الأمر لم يدم طويلاً، فقد حصل تحوّل في سياسة الانفتاح، في نهاية القرن الرابع الهجري، عندما قبض السلطان البويهي بهاء الدولة على الخليفة الطائع سنة ٣٨١ هـ وأتى بالخليفة القادر بالله، الذي كان ذا سطوة قياساً على من سبقه من الخلفاء العباسيين^٢.

ومشهد التعددية الفقهية والكلامية، الذي عرضنا لبعض تجلياته، كان يعبر عن مناخ عام نمت في وارفه مختلف الاتجاهات الفلسفية والأدبية والنحوية فضلاً عن ميادين الطب والصيدلة والفلك وسواها.

وسنعرض لبعض الأعلام واختصاصاتهم في هذه المرحلة الخصبة من التاريخين العربي والإسلامي، التي حدت بالمؤرخين العرب المعاصرين والمستشرقين إلى وصفها بالاستثنائية. ومن هذه الأعلام ظهر؛ الفارابي (ت ٣٣٩ هـ) الذي اشتهر بالفلسفة والموسيقى، على بن أبي الفهم داوود (ت ٣٤٢ هـ) وكان عالماً بالنجوم، أبو محمد الفارسي (ت ٣٤٧ هـ) وقد برع بالنحو^٣، أبو الطيب المتنبي (ت ٣٥٤ هـ) الشاعر الكبير الذي لا يزال إلى اليوم موضع اهتمام الباحثين والنقاد، أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) الذي نقل للأجيال صوراً من الحياة الثقافية والأدبية في عصره^٤، أبو سعيد السيرافي النحوي (ت ٣٦٨ هـ)، أبو أحمد الجرجاني (ت ٣٦٥ هـ) وقد اخصّ في البلاغة، أبو الحسن ثابت الحرّاني (ت ٣٦٩ هـ) وكان حاذقاً في الطب^٥، ابن

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحدة،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

١. الروذراوري، ذيل... (م،س)، ص ٤٦٢.

٢. ابن الأثير، الكامل... (م،س)، ص ٤٤٣.

٣. (م،س)، ج ٧، ص ١٩٤-٢٢٤.

٤. السيوطي، تاريخ الخلفاء، (م،س)، ص ٣٠١.

٥. ابن الجوزي، المنتظم... ج ١٤، ص ٢٦٤-٢٦٥.

سينا الفيلسوف (ت ٣٦٧ هـ)١، ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) عالم النحو المشهور٢، بديع الزمان الهمداني (ت ٣٩٨ هـ) صاحب المقامات، أبو حيان التوحيدى (ت ٣٩٨ هـ) الأديب صاحب كتاب الإمتاع والمؤانسة وأبو بكر الرازى (ت ٣٩٨ هـ) الطبيب والفيلسوف المعروف.

وظهرت في القرن الرابع الكتابات السياسية لجماعة "إخوان الصفا" وتحديدًا في سنة ٣٧٣ هـ متأثرةً بالعوامل نفسها التي استفاد منها الفارابي. وقد تأخرت الكتابات السياسية المستقلة عن الفكر اليونانى والتي نهلت من الفقه الإسلامى إلى أن صدر كتاب "الأحكام السلطانية" للماوردي٣.

ما عرضناه هو مجرد عينة صغيرة، وبإمكان من يود التوسع في هذا المجال العودة إلى المصادر التاريخية الكثيرة التي أرّخت للقرن الرابع الهجرى.

غير أن هذه الصفحة المشرقة من تاريخ العرب والمسلمين، ما لبثت أن طويت لتفتح صفحة جديدة قاتمة عنوانها القمع والملاحقة والإضطهاد والتي باشرها الخليفة القادر بالله ليستكملها السلاجقة مباشرة بعد وصولهم إلى بغداد سنة ٤٤٧ هـ٤.

وقد لاحت علامات التشدد السلجوقى فى نيسابور قبل أن يمسك طغرلبيك بناصية السلطة فى بغداد، فقد أعلن وجوب لعن أبى الحسن الأشعري بأمر من السلطان السلجوقى٥. وفى سنة ٤٤٧ هـ وقعت فتنة عظيمة بين الحنابلة والأشاعرة حدت بأتباع المذهب الأخير إلى التأخر عن الجمعات خوفًا من بطش الحنابلة٦.

وفى سنة ٤٤٨ هـ تمت ملاحقة أبى جعفر الطوسى الفقيه الشيعى البارز، ما اضطره إلى الهرب من بغداد، حيث نهبت داره وصادرت كتبه وكرسيه التي كان يجلس عليها للكلام٧.

١. ابن الأثير، الكامل...، ج ٧، (م،س)، ص ٢٢٤.
٢. ابن الجوزى، المنتظم...، ج ١٥، (م،س)، ص ٣٤.
٣. الطرطوسى، نجم الدين، (ت ٧٥٨ هـ)، تحفة الترك فيما يجب أن يعمل فى الملك، تحقيق عبد الكريم الحمداوى، مكتبة السليمانية، ط ٢، د.ب. ٢٠١٠، ص ٢٥.
٤. ابن الجوزى، المنتظم...، (م،س)، ج ١٥، ص ٣٤٩.
- ٥ (م،س)، ص ٣٤٠.
- ٦ (م،س)، ص ٣٤٧.
- ٧ (م،س)، ص ٨.

توفى طغربك سنة ٤٥٥ هـ وخلفه سليمان الذي تمّ، أثناء ولايته، الهجوم على مدرّس مذهب المعتزلة ابن الوليد، ثم أعقبه المباشرة بلعن المعتزلة في جامع المنصور^١.
في الواقع، تزخر المصادر التاريخية بالمادة التي تتحدّث عن الممارسات القاسية التي دأب السلاجقة على افتعالها ضد كل من يخالفهم الرأي، ما قلب المشهد السابق رأساً على عقب.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحدة،
العدد الثاني،
صيف ٢٠١٩

لقد أطفئت أنوار الفلسفة في المشرق بعد أن أغلق باب الاجتهاد كلياً وخنقت حرية البحث والتفكير في عاصمة العلم والعلماء (بغداد) بعد استيلاء السلاجقة على الحكم^٢. وقد أرخى الليل سدوله منذ ذلك الحين إلى القرن التاسع عشر عندما بدأت الأصوات تطالب بفتح باب الإجهاد وبالتالي التجديد في الحياة الفكرية تحت صدمة الغزو الغربي للعالم العربي في جناحيه المشرقي والمغربي.

المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، أبو الحسن علي (ت ٦٣٠ هـ) *الكامل في التاريخ*، تحقيق عمر تدمري، دارالكتاب العربي، ط ١، بيروت ١٩٩٧.
٢. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*، ج ٤، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، المكتبة العلمية، ط ١، بيروت ١٩٩٢.
٣. ابن القلانسي، حمزة بن أسد (ت ٥٥٥ هـ) *تاريخ دمشق*، ج ١، تحقيق د. سهيل زكار، دار حسان، ط ١، دمشق ١٩٨٣.
٤. ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ) *تجارب الأمم وتعاقب الهمم*، ج ٦، تحقيق أبو القاسم إمامي، سروش، ط ٢، تهران ٢٠٠٠.
٥. بردي، تغري أبو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ) *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، ج ٤، دارالكتب المصرية، ط ١، القاهرة، د.ت.

١ (م،س)، ص ٨٨.

٢ صالح، أركون: النزعة الإنسانية العربية، (م،س)، صفحة فضاءات.

٦. التوحيدى، أبوحيان (٤٠٠ هـ) الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، ط ١، بيروت ١٩٢٤.
٧. الروذراورى، أبو شجاع ذيل كتاب تجارب الأمم وتعاقب الهمم، م ٧، سروش، ط ٢، تهران ٢٠٠٠.
٨. السيوطى، جلال الدين (ت ٩١١ هـ) تاريخ الخلفاء، تحقيق حمدى الدمرداش، مكتبة الباز، ط ١، القاهرة ٢٠٠٤.
٩. الشهرستانى، أبو الفتح محمد (ت ٥٤٨ هـ) الملل والنحل، تحقيق أحمد فهمى محمد، دارالكتب العلمية، ط ٢، بيروت ١٩٩٢.
١٠. الطرطوسى، نجم الدين (ت ٧٥٨ هـ) تحفة الترك فيما يجب أن يعمل فى الملك، تحقيق عبدالكريم الحمداوى، مكتبة السليمانية، ط ٢، د.ب، ٢٠١٠.
١١. المقدسى، محمد بن عبدالملك (ت ٥٢١ هـ) تكملة تاريخ الطبرى، ج ١، تحقيق ألبرت كنعان، المطبعة الكاثوليكية، ط ١، بيروت ١٩٥٨.
١٢. بيضون، إبراهيم، البويهيون والخلافة، مجلة المنطلق، العدد ١١٤، بيروت ١٩٩٦.
١٣. الدورى، عبدالعزيز، تاريخ العراق الإقتصادى فى القرن الرابع الهجرى، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٣، بيروت ١٩٩٥.
١٤. سعد، فهمى، العامة فى بغداد، دارالمنتخب العربى، ط ١، بيروت ١٩٩٩.
١٥. سلهب، حسن، تاريخ العراق (دراسة فى الحياة الفكرية)، دارالمحجة البيضاء، ط ١، بيروت ٢٠٠٨.
١٦. صالح، هاشم، أركون: النزعة الإنسانية العربية فى القرن الرابع الهجرى، جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٣٦١٧، صفحة فضاءات.
١٧. كاهن، كلود، الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية، تعريب حسين قبيسى، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، بيروت ٢٠١٠.

پژوهشنامه تاریخ تشیع

السنة الواحده،
العدد الثانى،
صيف ٢٠١٩